معالم التجريب الحداثي في رواية "امرأة في مكان آخر" لغادة ملحم نعيم "

The attributes of postmodern experimentation within the novel "A Woman in Another Place " by Ghada Malham Na'im "

د.أسماء عراب [1]
جامعة الدكتور يحي فارس بالمديـة
arabasma45067@gmail.com
د.عبد الصمد علواني
المركز الجامعي سي الحواس بريكة
allouaniabdou@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/11/10 القبول 2024/02/02 النشر على الخط 2024/03/15
Received 10/11/2023 Accepted 02/02/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على معالم التجريب وتمظهراته في الرواية العربية الحداثية ،ذلك أنها اقترنت بخطاب الحداثة الذي يقوم على التجاوز والتحرر من القيود الكلاسيكية وكسر النمطية وبالتالي الدعوة إلى المغايرة والبحث عن كتابات جديدة استجابة للواقع الراهن ومتغيراته ،وعلى هذا الأساس اخترنا تجربة روائية إبداعية جديدة متمثلة في رواية امرأة في مكان آخر للروائية غادة ملحم نعيم المشحونة بآليات التجريب من خلال العنوان المفتوح والزمن السيكولوجي الدلالي اللامحدود والمكان الخارج عن المألوف والشخصية الحداثية الفاعلة والتداخلات الأجناسية ؛كتداخلها بالأغنية ،الرسم والتشكيلات البصرية كلها خلقت حسا تجريبيا فنيا وكسرت كل ما هو معهود مبتذل.

الكلمات المفتاحية: التجريب –الحداثة – –امرأة في مكان آخر –غادة ملحم نعيم

Abstract:

The aim of this study is to examine aspects of its use and manifestations in contemporary Arabic literature. It is linked to the modern discourse of overcoming archaic barriers, violating norms and encouraging deviance. This call for fragmentation and the search for new texts in response to current realities and their transformation is central to modernity. Based on this idea, we chose a new creative fiction experience represented by the novel "A Woman Somewhere Else"Ghada Malham Naeem's novel is charged with experimental mechanisms through its open-ended title, limitless psychological symbolism of time, unconventional settings, proactive modern character, and genre interplays. The integration of song, art, and visual formations creates an experimental artistic sense, It shattered everything that is ordinary and conventional.

Keywords ; Experimentation -Modernity - A Woman in Another Place- Ghada Malham Na'im.

[1] المؤلّف المراسل: أسماء عراب البريد الالكتروني: **asmaarab45067@gmail.com**

مقدمة:

شهدت الرواية العربية الحداثية حركة غير عادية في التمرد على الأشكال والمضامين التقليدية ،وقدمت كتابات إبداعية جديدة منزاحة عن الكتابات المعهودة تسعى نحو الاستمرار والبحث عن تقنيات جديدة كاشفة عن الخلق الإبداعي ،فالرواية العربية المعاصرة دائما قابلة للتغيير والتجديد هدفها الكشف عن واقع الإنسان المجهول وتعريته ،هذا التغيير والانفتاح الروائي الذي حققته الرواية الحداثية على مستوى البنية السردية شكلا ومضمونا كان بفعل التجريب الذي يعد آلية فنية اخترق بها القوالب الجامدة المتعارف عليها ،وتخطى أسر التقليد ومن الانفلات من النمطية والشكل العادي الذي عرفته الرواية التقليدية ،لاسيما تأسيس وعي جمالي ابداعي متفرد بخصوصياته متميز باستراتيجياته الفنية .

وبناء على هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي :

ما هو التجريب؟ وكيف تشكلت معالمه في رواية امرأة في مكان آخر؟

1.مفهوم التجريب:

لمصطلح التجريب العديد من الدلالات اللغوية المختلفة ؛منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ج ر ب) :"جرَّب الرجلُ تجربةً وتجريباً ، جربَ الشيء أي حاوله اختبره مرة بعد أخرى ...ورجل مُجرِّبٌ :قد عرف الأمور وجرَّبها ، والمجرِّب الذي جرَّب في الأمور وعرف ما عنده "[1] وهكذا فإن لفظة (جَرَّبَ) تحمل جملة من الدلالات منها ؛الاختبار ،المعرفة والمحاولة وكلها تصب في مسلك واحد ألا وهو اختبار الشيء ومعرفته .

ولقد بدأت بواكير مصطلح التجريب مع العلوم التجريبية تحديدا مع تشارلز روبرت charles Robert في نظرية التحول وكلورد برنارد Cloud **Ber**nardفي علم الطب التجريبي ، فتسلل هذا المصطلح إلى الدراسات الأدبية الغربية مع إميل زولا Emile Zollaهذا من جهة ومن جهة أخرى إلى أدبنا العربي مع ثلة من النقاد والدارسين منهم الناقد صلاح فضل الذي حدد التجريب في ثلاث تحديدات : "[2]

-ابتكار عوالم متخيلة جديدة لا تعرفها الحياة العادية ولم وتداولها السرديات السابقة مع تخليق منطقها الداخلي وبلورة جمالياتها الخاصة ، والقدرة على اكتشاف قوانين تشفيرها وفك رموزها لدى القارئ العادي بطريقة حدسية مبهمة ولدى الناقد بشكل منهجي منظم .

-توظيف تقنيات فنية محدثة لم يسبق لاستخدامها في هذا النوع الأدبي، وربما تكون قد جُربت في أنواع أخرى تتصل بطريقة تقديم العالم المتخيل وتحديد منظوره أو تركيز بؤرته مثل تقنية تيار الوعي، أو تعدد الأصوات .

-اكتشاف مستويات لغوية في التعبير تتجاوز نطاق المألوف في الابداع ويتم عبر ذلك على شبكة من التعالقات النصية التي تتراسل مع توظيف لغة التراث السردي أو الشعري أو اللهجات الدارجة أو أنواع الخطاب الأخرى لتحقيق درجات مختلفة من شعرية السرد .

---

[1] ابن منظور, لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت, ط1,(2005م)،ص110.

[2] صلاح فضل ،لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والتوزيع ،ط١,(2005م)،ص3.

فالتجريب هو البحث الدائم عن الجديد وانتهاك القوالب التقليدية السائدة يسعى دائما نحو الانفتاح والاستمرارية "إنه استراتيجية فنية تسعى إلى تفويض النمط والنموذج وتطمح إلى أن تجعل الكتابة داخل الجنس مفتوحة دائما تتوسل فالغاية منه البحث المتواصل عن شكل جديد "[1] عن آفاق مغايرة ومفارقة للأشكال التعبيرية المستهلكة ،وبالتالي فهو يسعى إلى جعل النص منفتحا عن الآخر متحررا من النمطية ومن كل القيود ، وفي مفهوم آخر التجريب هو "الإفراط في ممارسة التجاوز "[2] والخروج عن المكرس باحثا عن فضاءات تعبيرية جديدة "لا يتحقق إلا عبر التحرر من أسر السائد مما يجعله يمثل شكلا من أشكال تكريس حرية المبدع الروائي من خلال ثورته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية "[3] قوامه المغايرة والتغيير وروحه الإبداع والتخطيط لآفاق جديدة ،وبما أن التجريب مخالف للهيكل السردي التقليدي متحرر من السكونية منفلت من الكتابات الواقعية المكرسة وهكذا فإن الرواية التجريبية تسعى إلى الكشف عن آليات فنية جديدة إذ تؤيد الحركة وترفض السكون والاستقرار على قالب كلاسيكي والتحرر من قواعده التقليدية.

2 آليات التجريب في رواية "امرأة في مكان آخر":

1.2 العنونة : إن العنوان أول صورة تقع عليها عين القارئ فيأخذ منها انطباعه الأول ويشكل تصورا عن العمل الأدبي إذ يحدد "هوية النص ويسير إلى مضمونه ،كما يُغري القراء بالاطلاع عليه ،على أن وظيفة التحديد تظل هي الأهم من غيرها ،فالعنوان المثير قد لا يربطه بما يعنون أي رابط ،كما أن العلاقة بمادة العنوان ومواد النص ليست دائمة مرأوية بحيث يكشف ظاهر العنوان بواطن الكتاب ،إذ من الممكن أن نجد عناوين فارغة أو دالة على الشكل أكثر مما تدل على المضمون "[4] والعنوان في رواية "امرأة في مكان آخر" جاء متعدد الدلالات بحيث قسمت الكاتبة غادة ملحم نعيم الرواية إلى جداريتين معنونتين كل منهما بعنوان ،إذ تحمل الجدارية الأولى عنوان (بيروت 2014)والجدارية الثانية (باريس 1887) فكلا الجدارتين جمعتهما قصة حب وعشق غير مشروط بين شخصيتي (لانا وجاد)وشخصيتي (آغات و إيفانو) وهي مقصدية دلالية تُنمُّ عن الثقافة التحررية لدى الشخصية المركزية (لانا ،آغات) وحريتها المطلقة في تصرفاتها وهي أشبه بالمرأة الغربية الآن في قيامها بهذه الممارسات التي تندد بالحب والحرية بشكل مفرط وهذا ما يتناقض مع عادات وأعراف مجتمعنا العربي ،والعنوان الرئيسي (امرأة في مكان آخر)تتمثل قيمته الدلالية في أن هناك امرأة واحدة لكن في مكانين وزمنين مختلفين من بيروت ٢٠١٤إلى باريس ١٧٧٦وهذا ما أحدث كسر انتظار القارئ وخلخلة أفق توقعاته وهو من قبيل التجريب أي التجديد على مستوى الأفكار .

2.2 خرق خطية الزمن : إن الزمن في الرواية التجريبية ثار على الترتيب المنطقي العقلي الذي كان محورها وعمودها الفقري وسعى إلى إلغائها ،وبما أن الرواية الحداثية قابلة دائما للانفتاح والاستمرارية فإن الزمن الروائي أصبح مخلخلا النظام الزمني سواء من ناحية التتابع أو التسلسل, وفي رواية "امرأة في مكان آخر" نلفي أن الزمن قد تأرجح بين استرجاع المشاهد و أيام آغات التي كانت تساعد فيها والدتها وكيف كانت تقدم لها يد العون "كنت أعطي أمي نصف المال الذي أجنيه من إيفانو والنصف الآخر أشتري به

---

[1] محمد البارودي ،في نظرية الرواية ،سراس للنشر والتوزيع ،تونس ,دط,(1996م) ،ص173.

[2] سعيد يقطين ،القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد ،الدار البيضاء, دط,(1985)،287.

[3] بوشوشة بوجمعة ،التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي ،المغاربية للطباعة والنشر ,تونس،ط1،(2003م) ،ص23.

[4] محمد بازي ،العنوان في الثقافة العربية "التشكيل ومسائل التأويل "،منشورات الاختلاف ،الجزائر ,ط1(2012م)، ص15.

احتياجاتي الخاصة ..."[1] فالروائية عادت بالمتلقي إلى وضع زمني سياقي ينتمي إلى إطار النص الروائي فهي عادت بشخصية (آغات) إلى لحظة مرت بالقارئ لتعيد استذكارها معه وفي هذا المشهد السردي المتمثل في قول الساردة "والدي الذي كان معروفا بمهارته الكبيرة في ترويض الأحصنة وامتطائها وقع على حصانه في ليلة ضبابية وكسر رقبته ،ولم يأت أحد لإنقاذه إلا بعد ساعة أو أكثر ..."[2] إن الروائية هنا استعادت لحظة زمنية قبل بداية سرد الأحداث فحادثة وقوع الوالد على ظهر الحصان لم تكن حدثا أساسيا في الرواية ولم ينطلق الخط الزمني السردي من زمن وقوعه ،إنما انطلق من زمن تعيش فيه شخصية لانا مع ذكرى سقوط والدها ،وفي قول الساردة: "إنني حلمت بالركض حافية على بقع الماء المسفوحة على طول شارع الحمراء وسمعت مؤذن الحب قبل فوات الأوان فهرعت إلى الصلاة ،إنه صوت الحب المتعالي ..."[3] فدلالة توظيف الكاتبة للفظة (الركض حافية) أن الذات الحالمة كانت تجري في طريق موحل مفعم بالأوحال ،وكانت غير مهيأة للخوض في هذه التجربة وهي دلالة توحي بعدم استقرار واضطراب شخصية لانا ،لكن مجرد سماعها لمؤذن الحب غمرت الطمأنينة فؤادها فهرعت إلى الصلاة في محراب الحب ،فعادة نقول آذان الصلاة وليس آذان الحب ودلالة توظيف هذه اللفظة المشحونة بالمشاعر والأحاسيس ينبئ أنها أنثى تغلب على شخصيتها رقة القلب وفي هذا المقطع الروائي تحوَّل الزمن إلى زمن حلمي أحدث خلخلة في التسلسل الزمني وهذا ما وجدناه في شخصية لانا التي تارة تعيش الواقع بأحداثه وتارة أخرى في عالم تخييلي ملؤه الأحلام وهذا ما أدى إلى ضياع الزمن وكسرت خطيته ،وعليه فزمن الرواية هنا ظهر في شكل كومة متشابكة مختلطة بين ماض وحاضر ومستقبل وهي سمة من سمات التجريب الروائي الفني الخارج عن النمط المألوف.

3.2 انتهاك المكان وتجاوز حدوده : إن المكان هو الدعامة الأساسية المساهمة في بناء السرد وتشكيله فلا يستطيع الكاتب المبدع أن ينتج ويبدع في غياب المكان ولا يمكن تجاوزه ،كما يستحيل أن يستحضر نصا روائيا دون المرور بالإطار المكاني فهو القالب الذي تقام وتبنى فيه الأحداث ،فلا وجود للأحداث خارج المكان ،تنمو به الأحداث وتتطور من خلال "الانزياح من عالم واقع الواقع باتجاه عالم متخيل إن كان في الأصل يستمد من عالم واقعي ،إلا أنه يختلف عنه اختلافا جوهريا يجعله قادرا على أن يسمي المكان بسمات تجعل التأثيرات واضحة على شخصية ما من شخصيات الرواية ..."[4]فبعدما كانت الأمكنة في الرواية التقليدية جامدة أصبحت في الرواية التجريبية الجديدة تخلق صور تخييلية مشحونة بالجمال والمغايرة مرتهنة بحالة ونفسية الشخصيات ؛كمكان الحلم ،الحب ،الراحة والسكينة ...وفي الرواية المعالجة ألفينا الكاتبة قد نوعت في الأمكنة وربطت كل مكان حسب حالة الشخصية (مشاعرها وأحاسيسها) تقول على لسان لانا:" قررت أن أمشي في طريق فرعي يصب في شارع الشانزليه سمعت الفرنسية تنطلق من محلات صغيرة وبديعة ،في هذا الشارع الفرعي حتى انتهيت في حارة سكنية ،والغريب أن الرعب المعهود الذي ينتابني عادة عندما أدخل أماكن غريبة عني لم يظهر في هذه المرة ،بل تسبقني شعور بالارتياح وأحسست معه بأن الحياة رائعة ...وشعرت بأنني أريد أن أرمي كل الأيام الماضية ورائي وأن أرتمي في سويداء هذا الحي اللطيف ...أحسست بأني أعرف صحوات

---

[1] غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر ,منشورات ضفاف ،بيروت ط1,(1436هـ-2015م) ,ص129.

[2] عاصم خواجة ،التجريب بين التنظير والممارسة "دراسات في رواية الثمانينات أنموذجا "،مجلة المنار ، ع22،(2003)،ص21.

[1] غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر ،مصدر سبق ذكره ،ص 98-99.

ونوم وصرخات وآهات هذا الحي وكأنني ولدت في أعالي سقوفه وترعرعت في عبير أزهاره ..."[1] إن مثل هذا المقطع الروائي ينم عن مدى الراحة النفسية والهدوء الذاتي لدى شخصية لانا فرغم بُعد المكان إلا أنها أحست بالطمأنينة والانتماء لهذا الوطن الغربي الذي دل على مجتمع متجانس يحمل نفس المقومات الثقافية ويشترك في لغة واحدة (ميل بيروت إلى اللغة الفرنسية)فالكاتبة أثناء تشكيلها لهذا المكان تعمدت أن يكون بناؤه منسجما مع حالة ووضعية شخصية لانا ،فيصبح المكان قادرا على كشف الحالة الشعورية للذات وفهمها من خلال خلق تأثير متبادل بينها وبين المكان الذي تقطن فيه وبالأحرى الذي زارته حتى أنها ربطت وجهة نظر الشخصية بالمكان المحيط بها وهذا ما يدل على قوة العلاقة بينها لشخصية لانا تريد التحرر من قيود السلطة الذكورية ومن قوانين المجتمع الصارمة إلى مجتمع غربي منفتح ويظهر ملمح التجريب في إضافة العنصر السيكولوجي الدلالي للمكان المرتهن بالشخصية فلم يعد المكان يكتسب دلالته من الجمادات فقط بل بما ينعكس على شخصيات الرواية .

4.2 على مستوى الشخصية : إن مكون الشخصية من المكونات السردية الفاعلة داخل النص الروائي ،فلا يكاد يخلو أي عمل روائي من حضور الشخصيات فهي التي تصنع الحدث وتؤطره وهي مركزه يخلقها السارد ليحقق بها غايته الفنية والجمالية ،والرواية الحداثية التجريبية سعت إلى كسر كل القوالب الثابتة التي كانت مرتكزة عليها الشخصية في الرواية الكلاسيكية حيث "أعطت للشخصية المقدرة على فهم واقعها واستعراض خباياه وتسليط الكتابة على مطبات المجتمع الذي أثر بطريقة أو بأخرى على المبدع ،وبالتالي فقد منحته فرصة التعبير عن المتغيرات والمتراكمات على مستوى الفرد والجماعة من فدرته على الكتابة وتطويعها مقالب يستحوذ على كياناته ومعاناة وجوده ..."[2] وفي نص الرواية نلفي هيمنة شخصيتي (لانا ، آغات)على معظم أحداث الرواية كونها ذات فاعلة ناتجة عن عمليات تفاعل المجتمع ،وكما ذكرنا سلفا أن الرواية قُسمت إلى شقين ؛فشخصية لانا جُسدت في الشق الأول من الرواية (بيروت ٢٠١٤) وشخصية آغات في الشق الثاني (باريس ١٧٧٨) بحيث نلاحظ طغيان ضمير المتكلم (أنا)نذكر على سبيل المثال لا الحصر قول الساردة على لسان لانا :"وعدت أنظر في وجهه العالق في الاستغراب كيف لي أن لا أعرفه ...ولكني لم أكن قد دخلت في تلك البوابة العتيقة ..."[3] وفي قولها أيضا: "نظرت إليه ،كنت أحاول اصطياد ذلك الشرود النافر من عينيه ولون الأسى الذي يخلع أساه ويرتد متوهجا في أصابعه ، لكنني كنت حريصة على قياس نبضات اهتمامي به كي لا يضيع مني "..."[4] إن الانتقال الحركي لدى الشخصية من موقف كلامي إلى آخر وكأن الساردة تنتظر الإجابة من الطرف الآخر (جاد) فهي تريد البوح بمشاعرها وعواطفها لكنها ترددت في ذلك ،وفي ذات المنوال نلفي شخصية آغات "انتظرت الجواب وأنا متيقنة أن إيفانو سيكون خلاصي الوحيد بل هو اليقين الأكبر في حياتي الذي يجعلني أتنفس وأحب الحياة ..."[5] وقولها أيضا:"

---

[1] سهيلة علي صوشة ،شعرية التجريب في الرواية المغاربية الحديثة (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ،قسم اللغة والأدب العربي ،جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ،الجزائر ،ص87.

[2] غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر ،مصدر سابق ,ص12.

[3] غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر ،ص15.

[4] المصدر نفسه ,ص166.

[5] المصدر نفسه ،ص161.

كنت فريدة في قربي منه وكنت مستسلمة لمصيري الذي بين يديه بلا خوف ..."[1] إن دلالة توظيف ضمير المتكلم (أنا) في جل أحداث الرواية واختيارها للذات المركزية شخصته في ذات أنثى إلى أن الذات المحورية انعكاس لذات الأنثى المختفية وراء الكاتبة فمن ميزة المرأة أنها تتحدث بضمير الأنا ومما نلحظه في الرواية التجريبية أنها تتسم بتجلي الأنا وسيطرتها على المتن الروائي وهو ملمح تجريبي بامتياز .

5.2 التداخل الأجناسي: وهو من المظاهر التجريبية الحداثية أعطى الرواية العربية المعاصرة انفتاحا حقق نوعيتها فانتهكت الأشكال المألوفة واخترقت قيودها التي كانت تكبلها فتحولت إلى جنس يتداخل فيه العديد من الأجناس وأصبحت تسعى نحو التميز وتطمح نحو الانفتاح وفي رواية "امرأة في مكان آخر " ألفينا أن الكاتبة أدخلت أجناسا أدبية أخرى خلقت جوا إبداعيا وحسا فنيا جعلت القارئ يتفاعل معها ويتذوق جمالياتها ومن ثمة يستنطق أبعادها المضمرة .

1.5.2 تطعيم الرواية بالأغنية : وفيها نلاحظ أن الكاتبة تعمدت اللجوء إلى هذا النوع لإعطاء النص الروائي طابعا تجريبيا وملمحا تحديثيا يكسر جمود النصوص الروائية السائدة آنذاك ،نذكر على سبيل التمثيل قول الساردة على لسان لانا :" [2]

بلا ولا شيء ....بحبك
ولافي بها لحب مصاري
ولا في ممكن ليرات
ولا في ممكن أراضي
ولا في مجوهرات
تعي نقعد بالفيّ
مش لحدا هل الفيّ...
حبّيني وفكري شوي ...
بلا كل أنواع ثيابك
بلا كل شي في تزيين
بلا كل أصحاب صحابك
السقلا والمهضومين ...

إنها أغنية باللهجة اللبنانية تُغنَّى كثيرا للفقراء الشيوعيين الذين يطالبون بحقوق الفقراء فأصبحت وكأنها شعارهم في الحب اللا مشروط...ومنه طعمتها الكاتبة في متنها الروائي فتعالقت الأغنية بالرواية وأضفت بذلك بعدا تجريبيا متميزا.

2.5.2 تداخل الرسم في الرواية : إن رواية امرأة في مكان آخر احتوت على الكثير من اللوحات منها ؛اللفظية التعبيرية ،التشكيلية البصرية فهي رسوم مقتحمة بقوة "في مجال إنتاج الدلالة وهي رسوم يختزل الكلام الملفوظ لتقديم نوعا من التميز الملحوظ

[1] المصدر نفسه ،ص79-78.

[2] مصطفى الضبع، تداخل الأنواع في الرواية العربية ، مؤتمر جامعة اليرموك الثاني عشر ، يوليو (2001م)،جامعة الأردن -اربد ،ص34.

بغية إنتاج الدلالة فالصورة تقطع طريقا مخالفا الكلام ، فيحرك الذهن لتشكيل صورة تقوم بدور الوسيط لإنتاج الدلالة والصورة تنتج دلالتها عبر ترجمتها إلى كلام "[1] وإذا عدنا إلى النص الروائي المعالج نجد لوحات تعبيرية لفظية بحيث تستخدمها الكاتبة بشكل مكرر وهذا دليل على محورية المصطلحات وفاعليتها في الرواية نذكر على سبيل المثال قول الساردة على لسان آغات :" نزعت عني ثيابي كي أرى تفاصيل جسدي وكي أتأكد أنها جميلة ومتناسقة ،جسدي الذي سيكون مستلقيا في لوحاته ،إيفانو الرسام الذي اختارني لأكون الموديل الذي سيستخدمه في إبداعاته الفنية "[2] وقولها أيضا :"عندما أخبرتني عن إيفانو الرسام والذي كان يبحث عن فتاة فيها من صفات الجمال ما يجعله يستوحي منها أجمل اللوحات وكي تكون ملهمة الدائمة في كل ما يرسم لها"[3] ،كما تؤكد الساردة في موضع آخر مدى التوق الشديد لآغات وظهورها في لوحة الرسام إيفانو "أكدت لي نورما بأن الأمر سيبقى سرا بيننا نحن الثلاثة وبأن إيفانو سيستعمل جسدي فقط دون أن يظهر وجهي أو تفاصيله في اللوحة "[4] وتقول أيضا: "اتجهنا معا نحو المرسم صامتين...اقتربنا أكثر نحو المرسم ،علق نظري على اللوحة التي وقفت أمامه وهو ينظر إليها "[5], والمتأمل في هذه المقاطع الروائية يجد نفسه أمام مجموعة من الألفاظ التعبيرية الدالة على فن الرسم زادت النص قوة وفاعلية كما قدمت الكاتبة لوحة تشكيلية قبيل المتن الروائي (الغلاف)؛صورتين لامرأتين مختلفتين ؛امرأة عربية عصرية وامرأة غربية كلاسيكية من حيث اللباس والمظهر ،فالمرأة الغربية الكلاسيكية بلباس تقليدي تحمل مظلة دلالة على الغموض والإبهام في حين لما نرجع إلى الصورة الثانية ؛صورة المرأة العربية العصرية بلباس عصري متبرج مما يدل على توقعات للتفتح والحرية ,أما داخل المتن نجد القسم الثاني من الرواية (,باريس١٧٧٨) صورة لامرأة غربية تظهر بطراز كلاسيكي فخم (فستان فضفاض مرفقا بقبعة).

كما نجد لوحات تشكيلية بصرية والتشكيل البصري ؛من المظاهر التجريبية يستحدث فيه الكاتب المبدع طرائق تشكيلية جديدة لكتابة نصه ومن ثم بعيد هندستها (أفقيا ،عموديا) له الحرية في التقديم والتأخير وتفسح له المجال في التعبير عن مختلجاته الذاتية ومكوناته الباطنية وعليه فإن "ارتباط مصطلح التشكيل المستعار من فن الرسم وتشغيله في فنون الكلام المتعددة الأجناس ،هو أقرب إلى روح المصطلح وفعاليته وحساسيته من التشكيل السردي أو التشكيل السير ذاتي أو أنماط التشكيل الأخرى المرتبطة بفنون القول وذلك الحيوية التي يتمتع بها الشعر على المستوى التشكيلي قياس بالفنون السردية والسير الذاتية في علاقته بالرسم الذي ينحدر منه مصطلح التشكيل "[6]فالتشكيل مرتبط بالرؤية البصرية يتأسس من الواقع والخيال وفي الرواية وظفت الروائية الكثير من الجوانب المختلفة للتشكيل البصري نذكر منها والمتمثل في قول الساردة على لسان آغات : "[7]

يا لهذه الوحشة !!يا لهذه الظلمة !! أين أنا ؟!!

---

[1] غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر ، ص 129.

[2] المصدر نفسه ،ص 130.

[3] المصدر نفسه ،ص132.

[4] حمد صابر ،التشكيل البصري "الصنعة والرؤيا "،دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ,دط (1432هـ-2011م) ،ص11.

[5] غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر،ص19

[6] حمد صابر ،التشكيل البصري "الصنعة والرؤيا" ،مرجع سبق ذكره ,ص11.

[7] غادة ملحم نعيم ، امرأة في مكان آخر، ص189-190.

قلت وأنا مغمضة عيني ..
-إيفانو أحبك
وسأعود ...أعدم لن أرحل
أصبح كل شيء ضبابيا حتى أحلامي لم تعد
موجودة ،وأنفاسي اختفت ولم أستطع أن أسيطر
عليها..
وكفراشة احترقت بالنور....
هكذا ذهبت ....

ولا أعتقد أنني متُّ كلّيا ...
لكني تركت إيفانو مع وحشته ....
وغادرت .....

تشكيلة بصرية قدمتها الكاتبة الروائية على شكل كتابة عمودية سطرا تلو الآخر مرفقا بعلامات التعجب والاستفهام ونقاط الحذف وتقنية النجوم الثلاث لتشارك القارئ الحدث ولتستوقفه في فهم معاني الأسطر وكأنها تفعيلة شعرية حرة وهي في المقابل تشكيلة نثرية بصرية .

6.2 التجريب على مستوى اللغة :

إن اللغة هي الأداة الفنية الأساسية والفعالة في إنتاج الخطاب الروائي فهي نظام من الرموز الإشارات والعلامات اللغوية وغير اللغوية التي هي مادة الروائي ومذهبه في إنتاج العمل الروائي ، فالراوي لما يهتم بكتابة نص ما فإنه يعتمد أساسا على اللغة ، فاللغة تظهر وتخفي الكثير من الأشياء ، فهي كنهه الجمالي الإبداعي في الرواية ، ولا قيمة لأي عمل روائي دون اللغة وعموما فـ" النصوص الروائية تقدم لنا طرائق وجماليات متنوعة في اشتغال اللغة ، هنالك طرائق تفجر شعرية الكتابة ، وتتلغم مسالكها ببياضات وفراغات الرمز والمجاز ، وأخرى تميل إلى الاقتصاد اللغوي وتشكيل كتابة أخرى إلى الخبر الصحفي " [1] وهكذا فإن اللغة لابد أن تجذب المتلقي بأشياء تاريخية أو فلسفية أو إبداعية فحسب بل عبقرية اللغة المتمثلة بما يسمى بالوهج أو التفجير اللغوي هو الذي يجعل من العمل الروائي عملا أدبيا محملا بالدلالات العميقة والمعاني الوصفية [2] فإذا كانت اللغة محكمة ، كان العمل الروائي عملا فنيا وممتعا فكريا وروحيا [3] يسهم في بناء الرواية ويشكلها تشكيلا مكثفا بإيحاءاتها وانزياحاتها الإبداعية " فإذا غابت اللغة الروائية غابت التعبيرات الفنية والحيوية ، فهي بمثابة التزام حواري بين الروائي المبدع والقارئ إذا اهتم الراوي بلغتها المكثفة بالدلالات الرمزية

[1] محمد بوعزة ، حوارية الخطاب الروائي ، التعدد اللغوي والبوليفونية ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط1 ،(2016)، القاهرة ص15 .
[2] ينظر : حمود ماجدة ، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات ، عيبال للدراسات والنشر ، ط1 ،(1992)،ص91.
[3] المرجع نفسه ، ص نفسها .

والمعاني الخفية فإنها ارتبطت بالرواية الشعرية المتمردة على اللغة العادية المألوفة والمتجاوزة للمعاني التقليدية "[1] وهذا ما يحيلنا إلى الفرق بين اللغة في الرواية التقليدية واللغة الشعرية الحداثية ، فاللغة في الرواية التقليدية كانت تعتمد على التقريرية المباشرة في التعبير وعلى المعاني البسيطة ليست كاللغة الشعرية المعاصرة ، أصبحت ترتكز على المعاني الباطنية المبهمة وهكذا فاللغة الشعرية أصبحت ميزتها الإبداعية وركيزتها الأساسية في بناء الراوي نهضت بمستويات فنية وحققت فرادتها الجمالية بتصويرها البلاغي وأساليبها الانزياحية الدلالية التي صنعت منها لغة روائية مشحونة بالشعرية والمغايرة في الألفاظ والكلمات وفي رواية "امرأة في مكان آخر" وظفت الروائية لغة تجريبية انزياحية مكثفة بالدلالات الشعرية والرموز الجمالية وفي ذلك تقول الساردة على لسان لانا: "وأنا قررت أن أتناول وجبتي من الحب ساخنة تركت بعض الصمت يجيب: ربما أصابع من فوضى تقاذفت الفرح الواسع بين يديه,وربما تلك المرأة في داخلي تابعت تلوين بساتين أنوثتها في مرايا أصابعها." [2]ومن هنا نجد الساردة قد شبهت (الحب) بالوجبة الساخنة التي تكون لذيذة للآكل فعبرت بمجال مغاير عن مجال الحب والمشاعر فاستعارت كلمة الوجبة الساخنة بدل المشاعر الساخنة وفي هذا كسر للتعابير المألوفة التي يستخدمها الكتاب والروائيون خاصة الذين يكتبون بطريقة كلاسيكية ,ونجدها في موضع آخر تعبر بلغة مجازية انزياحية وتقول: "هل قال له فنجاني الحائر في استقراره إنني سأحبه, وإنني زرعت أصص شرفاتي بانتظار شمس هذا الموعد المتأخر نصف دقيقة وربما نصف العمر"[3]لغة شعرية جاذبة مشحونة بصور الحب والعشق صورتها الساردة على لسان(لانا) وهي في أشد الحيرة والانتظار, إنها لغة الحب الملغزة تحدت اللغة التقريرية المباشرة السائدة وهي تقنية من تقنيات التجريب ,كما تقول في موقف تعبيري آخر ساخرة من نفسها:" أردت أن أذهب إليه وألقي تحية بغباء(مانيكان) ثم أمضي وأمضي وأمضي..كيف لرجل أن يقلب مزاج الشتاء وأن يعبث بالمطر!!كيف له أن يدفع الغيوم لريح شرسة لتنأى بعيدا عن فضاء الشارع الذي تسكنه في هذه اللحظات, شمس مشرئبة!!..كيف وكيف ..." [4] إن الساردة هنا وظفت الأسلوب الساخر كذكرها على لسان(لانا) لفظة (مانيكان) وهي صورة لغوية تهكمية إذ تهكمت لانا من ذاتها الراكضة خلف الرجل وبالتالي خلقت انزياحا جماليا خرج عن المألوف.

ورغم فصاحة الرواية إلا أن الروائية وظفت بعض المفردات باللهجة العامية (اللبنانية) ومن أمثال ذلك

(بلا ولاشي بحبك, ولا في بهالحب مصاري ,ولا في ممكن ليرات, ولا ممكن في أراضي, ولا في مجوهرات)[5]وباستحضار الروائية لهذه الأغنية الشعبية اللبنانية في نص الرواية جعلها نصا مستندا على مرجعية تاريخية اجتماعية(وضع بيروت سابقا) قابلا للانتهاك والاختراق مما أكسب الرواية طابعا تجريبيا ,(اشتأتلك) [6] أي اشتقت لك وذلك لكسر أفق توقعات القارئ ليتفاعل مع النص الروائي ويفك شفراته ويستكنه دلالاته المضمرة.

[1] ينظر : أمينة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ص35.

[2] غادة ملحم نعيم,امرأة في مكان آخر,ص23.

[3] المصدر نفسه ,ص نفسها.

[4] المصدر نفسه ,ص 55.

[5] المصدر نفسه ,ص 77.

[6] المصدر نفسه ,ص 30.

كما طعَّمت الروائية نصها الروائي بألفاظ فرنسية وترجمتها إلى اللغة العربية نذكر على سبيل المثال
"[1] je taime Lana,Yvano
أي بمعنى "أحبك لانا ,إيفانو" [2]وهذه آلية حداثية ارتكز عليها التجريب.

خاتمة:

وفي الختام يمكن القول أن التجريب مصطلح حداثي يسعى إلى التجديد والتغيير و التمرد على الأنماط والأشكال المعهودة سابقا ثم إن رواية امرأة في مكان آخر رواية تجريبية سعت من خلالها الروائية غادة ملحم نعيم كسر وتجاوز كل ما هو مبتذل وقد ظهر ذلك من خلال معالجتنا للمتن الروائي ومنه الوقوف عند أهم المحطات التجريبية بداية من العنوان ودراسة الزمن وكيفية تأرجحه بين ماض وحاضر ومستقبل وانتهاك حدود المكان وعدم ثبات الشخصية واستقرارها ،كما رأينا التداخلات الأجناسية في الرواية وتعالقاتها بفن الرسم والأغنية وغيرها ...فالكاتبة تجاوزت الشكل المألوف وانزاحت إلى ما يسمى بالتجريب الحداثي وعليه فالتجريب موضوع مهم في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة خرج عن النمط السائد المبتذل يدعو الباحثين للبحث فيه وكشف أغوار النصوص وما تخفيه من دلالات مضمرة لا يفصح عنها الكتاب ، وهو ما يدعو إلى المزيد من هذه الدراسات لإثراء الساحة الأدبية والنقدية معا .

قائمة المراجع:

1) ابن منظور ,دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت, ط1,(2005م)
2) أمينة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق .
3) بوشوشة بوجمعة ،التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي ،المغاربية للطباعة والنشر ,تونس،ط1.،(2003م) .
4) حمد صابر ،التشكيل البصري "الصنعة والرؤيا "،دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ,دط (1432هـ-2011) .
5) حمود ماجدة ، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات عيبال للدراسات والنشر ، ط1 ،(1992).
6) سعيد يقطين ،القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد ،الدار البيضاء, (1985م).
7) سهيلة علي صوشة ،شعرية التجريب في الرواية المغاربية الحديثة (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ،قسم اللغة والأدب العربي ،جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ،الجزائر .
8) صلاح فضل ،لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والتوزيع ،ط١,(2005م).
9) عاصم خواجة ،التجريب بين التنظير والممارسة "دراسات في رواية الثمانينات أنموذجا "،مجلة المنار ،ع22،(2003م)،
10)غادة ملحم نعيم ،امرأة في مكان آخر ، منشورات ضفاف ،بيروت ط1(1436هـ-2015م) .
11)محمد البارودي ،في نظرية الرواية ،سراس للنشر والتوزيع ،تونس ,(1996م) .
12)محمد بازي ،العنوان في الثقافة العربية "التشكيل ومسائل التأويل "،منشورات الاختلاف ،الجزائر ,ط١(2012م).
13)محمد بوعزة ، حوارية الخطاب الروائي ، التعدد اللغوي والبوليفونية ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط1 ،(2016).
14)مصطفى الضبع، تداخل الأنواع في الرواية العربية ، مؤتمر جامعة اليرموك الثاني عشر ، يوليو (2001م). جامعة الأردن –اربد.

[1] المصدر نفسه ,ص123.
[2] المصدر نفسه ,ص نفسها.